

## مجلة

## مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تشرين الأول « أكتوبر » سنة ١٩٧٢ م رمضان سنة ١٣٩٢ هـ

## المجاز في لغة العامة

الأستاذ شفيق جبوري

إذا كان معنى المجاز في اللغة خلاف الحقيقة فالعامّة قد تلجأ في لغتها إلى هذا المجاز ، ففي دمشق مثلاً كثير من الألفاظ حوّلت العامّة معانيها عن الحقيقة إلى المجاز ، وقد نجد مثل هذا التحويل في كثير من بلاد العرب ، إلاّ أنّي أقصر في هذا المقال على طائفة من الألفاظ ، شاعت على ألسن العامّة في دمشق وفيها شيء من المجاز ، غير أنّ العامّة قد حافظت على أصل المعنى حيناً وانحرفت عن هذا الأصل حيناً آخر ، ولا بدّ من ضرب الأمثال في هذا الباب ، وليكن لا بأس قبل ذلك بالإشارة إلى أن الذين يبحثون عن اللغة وعن انتقالها من طور إلى طور لا ينبغي لهم أن يغفلوا عن البحث عن لغة العامّة ، فإذا اهتموا بهذا البحث اهتموا إلى قدرة العامّة على تحويل الألفاظ عن معنى حقيقي إلى معنى

مجازي وإلى تصرف في اللغة لا يقلّ عن تصرف الخاصة ، فإذا تغلغلنا في لغتهم وجدنا في هذه اللغة ألفاظاً فصيحة في أصلها إلاّ أنهم حولوها عن وجه إلى وجه ، فازدادت في بعض الأحيان قوّة في التعبير والتصوير .

فلنشرع في ضرب الأمثال :

نجد في اللغة مادة : مَعَكَ معاني كثيرة ، من جملتها : معك في التراب ذلك ، إلاّ أن العامّة لم تقتصر على حقيقة هذا المعنى ، فقد استخرجت من هذه المادة صورة ثانية ، فمرّة كانت تحافظ على أصل المعنى ؛ فمن قولها في غسل الثياب امعكها ، أي اغسلها غسلًا جيدًا أو ادلكها ذلكًا شديدًا ، فالمعك في هذا المقام هو الدلك ، فاللفظة لم تنحرف عن حقيقة معناها ، ومن هذا القبيل مَعَكَ المشمش ، وهو الدلك أيضاً .

إلاّ أنهم إذا أرادوا أن يقولوا : فلان ضرب فلاناً ضربة شديدة قالوا : معك معك قوّة ، فالمعك في هذا المقام معناه مجازي ، إلاّ أننا لا نجد تباعداً بين الحقيقة والمجاز فكما أن التي تغسل الثياب غسلًا جيدًا تمعكها أي تدلكها فكذلك الذي يضرب الآخر ضرباً شديدًا بمعك أي يدلكه بالضرب كما يدلك الثوب بالغسل ، وللمعك أيضاً في لغة العامة معنى مجازي آخر قد يستغنى عن التصريح به حرصاً على الأدب .

ومن هذا القبيل لفظة : دعك ، في اللغة : دعك الثوب باللبس كمنع : ألان خشنته ، والحصم : لينه ، وفي التراب : مرّغه ، والأديم : دلكه .

فالعامّة نقلت معنى هذه المادة من الحقيقة إلى المجاز ، وفي عملها هذا حذق ومهارة ، فهي تقول : فلان مدعوك ، أي أحكمته التجارب وصقله الزمن ، فهو يعرف مصادر الأمور ومواردها ، والخلاصة فهو غير مغفل ، أفلا نجد مهارة في هذا التصرف ، فكما أن الثوب المدعوك تذهب خشنته باللبس ، فكذلك الرجل المدعوك تذهب غباوته بالتجارب .

ولا بأس بالاستمرار في هذا الباب ، إن مادة : بلعه كسمعه معروف معناها ، إلا أن العامة قد تصرفت في هذا المعنى المعروف فنقلته من وجه إلى وجه ، فإذا أهان رجل رجلاً آخر أو أسمعه كلمة قاسية قالوا : فلان بلع الإهانة أو بلع الكلمة القاسية ، فهم يريدون بذلك أنه سكت عنها ومرّ بها فلم ينبس ، وإني أجد طرافة في هذا التعبير ، فكما أن الرجل يبلع الماء فكذلك يبلع الإهانة أو الكلمة القاسية ، وهو تعبير طريف ، وقد توسّعوا في هذا الباب فإذا تكلم أحدهم وأطال وضجر منه من يسمعه قالوا له : ابلع ريقك ، أي اسكت قليلاً ، أو اترك غيرك يتكلم ، وفي اللغة الفصيحة : أبلغني ريق أي أمهني مقدار ما أبلعه .

وفي بعض الأحيان تبعد الصلة بعض الشيء بين الحقيقة والمجاز في لغة العامة ، من هذا الشكل مادة : نتع ، نجد في اللغة : نتع الدم تنوعاً ، خرج من الجرح قليلاً قليلاً ، وكذا الماء من العين ، والعرق من البدن ، فهذه المادة معناها في اللغة واضح ، ولكن العامة لم تقف عند هذا المعنى ، فإذا كان لك عند رجل ودیعة وجئت تطالبه بها ونفسه لم ترض بتسليمها قال لك : انتعها على رأسك ، أي خذها لا ردها الله ، أو إذا كانت امرأة عند زوجها وحصل بينهما بعض الخلاف وجاء أهلها للمعاتبه قال الرجل لأهلها : انتعوها على رؤوسكم ، فلا شك في أن الصلة في هذه المادة بين الحقيقة والمجاز بعيدة ولست أدري هل نهتدي إلى شيء من التخريج في ذلك .

وإذا بعدت الصلة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في بعض الأوقات فهذه الصلة قد تكون قريبة في أوقات ثانية ؛ لمادة : ( مصع ) معانٍ كثيرة في اللغة الفصيحة ، في جملة هذه المعاني : مصعه ، ضربه بالسيف أو بالسوط ، أو ضرب ضربات قليلة ثلاثاً أو أربعاً ، ولا حاجة بنا إلى التوسّع في الإشارة إلى معاني هذه اللفظة .

فالعامة لم تبعد كثيراً عن معنى هذه المادة في لغتها ، فهي تقول : سيف

بمع رقبته ، إذا أرادت أن تدعو على أحد ، إلا أن اللغة الفصحى تستغني عن ذكر السيف ، والعامة لا مندوحة لها عن ذكر السيف .

ومن هذا النحو قول العامة : قصف الله عمره أو شبابه ، نجد في اللغة : قصفه يقصفه قصفاً كسره ، فالعامة تجاوزت هذا المعنى فقالت : قصف الله عمره ، وأي فرق بين قصف العود وقصف العمر والشباب .

ومن المواطن التي قد تستحکم فيها الصلة بين الحقيقة والمجاز قولهم : أكل فلان رأسي ، ماذا نجد في اللغة ؟ نجد معنى : أكلني رأسي إكالة بالكسر وكالاً بالضم والفتح : حكّني ، فهذا معنى ظاهر ، إلا أن العامة تصرّفت في هذا المعنى فإذا قالت : أكل فلان رأسي أرادت بذلك كثرة كلامه أو كثرة إلحاحه على حاجة من الحاجات .

ولنتقل أخيراً إلى مادة : لَفَّ . في اللغة : لفّه ضد نشره ، وهذه المادة معانٍ كثيرة لا نتبسط فيها ، فلنتنظر إلى تصرّف العامة في معنى هذه اللفظة فإذا تنازع رجلان وجاؤوا ليصلحوا بينهما قالوا لأحدهما : لفّها ، أي اسكت أو امض لسبيلك ، فكأنهم يقولون له : اطو نزعك وانصرف ، وإذا أرادت حكومة أن تطوي مسألة من المسائل أو قضية من القضايا قالوا : لفّتها ، أي أهملتها أو أماتتها ، فأبي صلة أقرب من هذه الصلة بين الحقيقة والمجاز ؟ أفرأينا قدرة العامة على التصرف في الألفاظ الفصيحة وعلى براعتها في نقل هذه الألفاظ من الحقيقة إلى المجاز ؟

شفيق جبوري